﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢﴾

[هود: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد عرض سياق دعـــوة صـالـح لقومه، يسرد ما ردَّ به القوم على نبيِّهم

بعد أن حكى النَّظم دعوة صالح ﷺ لهم، ذكر ما ردّوا به عليه[1]، فلمّا "دعاهم إلى الحقِّ، ونصب لهم عليه من الأدلَّة ما هم به معترفون، وذكَّرهم نِعَمَه مومئًا إلى التَّحذير من نِقَمه، وسهَّل لهم طريق الوصول إليه، ما كان جوابهم إلّا أن سلخوه من طور البشريَّة لمحض التَّقليد، فلذلك استأنف الإخبار عن جوابهم بقوله: ﴿قَالُواْ﴾"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَرْجُوًّا﴾: أصْلُ (رجا): يَدُلُّ على الأمل، يقال: رجا حُصولَ الشَّيْءِ، يرجو رجاءً ورَجاوةً، أيْ: أمَّلَ وُقوعَهُ، وضِدُّه: اليَأْسُ والقُنوطُ[3]. ويأْتي الرَّجاءُ بِمعنى الطَّمَعِ في الشَّيءِ، فيقال: رجا الخَيْرَ، أي: طَمعَ فيهِ[4]، والمقصود بالرَّجاء في الآية: تَرَقُّبُ الانْتِفاعِ بِما تقدَّمَ له سبب ما، أي: إنَّه ترقُّبٌ للخير[5].

2) ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾: أصْلُ (نهي): يَدُلُّ على غاية وبلوغ، ومنه أنهَيتُ إليه الخَبَرَ: بَلَّغْتُهُ إيّاهُ، ونهايةُ كُلِّ شَيءٍ: غايَتُهُ، ومنه نَهَيْتُهُ عنه، وذلك لأمرٍ يفعلُهُ، فإذا نَهَيْتَهُ، فانتهى عنكَ، فتلك غايَةُ ما كانَ وآخِرُهُ[6]. والإنْهاءُ: الإيصالُ والإبلاغُ[7]، والنِّهايَة: غايَةُ كُلِّ شَيءٍ

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 12/54.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/319.
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجا - رجو).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رجو).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (رجو)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/110.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نهي).
(7) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نهي).

وآخِرُهُ[1]، والنَّهي: الكَفُّ عَنِ الشَّيءِ والمَنْعُ منه، تَقولُ: نَهاهُ؛ إذا كَفَّهُ، ومَنَعَهُ عَنْ شَيءٍ ما، ومنه النُّهْيَةُ: وهي العَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ صاحِبَهُ منَ القَبيحِ[2]. والمقصود بالنَّهي في الآية: طَلَبُ تَرْكِ الفِعْلِ بالقَوْلِ ممَّن هو دونه.

3) ﴿مُرِيبٍ﴾: أَصْلُ (ريب): يَدُلُّ على شَكٍّ، أو شَكٍّ وخَوْفٍ، فالرَّيْبُ: الشَّكُّ، قالَ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: 1 - 2]، أي: لا شَكَّ، والرَّيْبُ: ما رابَك من أمْرٍ تخوَّفتَ عاقبتَهُ[3]، تَقولُ: رابَني هَذا الأمْرُ؛ إذا أدْخَلَ عليكَ شَكًّا وخَوْفًا، وأرابَ الأمرُ، أي: صارَ ذا رَيْبٍ، وأرابَ الرَّجُلُ: صارَ مُريبًا ذا ريبَةٍ، وارتَبتُ بهِ، أي: ظَنَنْتُ بهِ، ورَيْبُ الدَّهْرِ: صُروفُهُ وحَوادِثُهُ[4]. والمقصود بالمُريبِ في الآية: موقع في الرّيبَة، مُبالغَة في الشَّك، وهو اسم فاعِلٍ منْ أرابَ؛ إذا أوقَعَ في الرَّيْبِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شهادةُ قوم صالح له بأنَّه محمودُ الخصال، حتَّى إذا أُرسِلَ إليهم؛ فناصبوه العداء

فلمّا أمرَهم نبيُّهم صالحٌ ﷺ، ورغَّبهم في الإخلاص للّه وحده؛ ردّوا عليه دعوتَه، وقابلوه أشنعَ المقابلة، قال قومُ صالحٍ ﷺ له: يا صالحُ قد كنّا نرجو فيك الخَيْرَ؛ لِعلْمكَ وعَقْلِكَ وصِدْقِكَ، ونُؤمِّلُ أن تكونَ فينا سيِّدًا مطاعًا، قبل هذا القَوْلِ الَّذي تدَّعي فيه النبوَّة، وتَدعونا إلى تَركِ عِبادةِ غيرِ اللّه، أتنهانا أن نَعْبُدَ الأصنامَ الَّتي كان يعبُدُها أسلافُنا، وإنَّنا لفي شكٍّ كبيرٍ من صِحَّةِ ما تدعونا إليه من توحيدِ اللّه وعبادته وحده، شَكًّا يوجِب تُهمَتَك[5].

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (نهي).
(2) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (نهي).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريب).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهي).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 12/454، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/332، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 385.

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ المصلحَ في قومه يكون مشهودًا له بالخير ومكارم الأخلاقِ وحميد الصفاتِ؛ ما دام موافقًا لهم في أهوائهم وموروثاتهم السّابقة، فإذا خالفَهم بدعوتِه لهم إلى الهَدْي السَّديد والرأيِ الرَّشيد؛ نعتوه بأعظم القبائح، وأقذعِ الأقوال.

وترشدُ إلى الفرقِ الواضحِ في الأسلوب بين القوم ونبيِّهم، فالقومُ ثمودُ قابلوا صالحًا ﷺ بما يفيدُ التوبيخَ والاتِّهامَ، ويدلُّ على التصميم على الكفر، والنَّبيُّ صالحٌ يتلطَّفُ بهم، ويحاولُ إقناعَهم بصحَّةِ دعوتِه إلى توحيد اللّه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الفصل والتَّجريد في مطلع الآية:

فصل الجمل في القصَّة، اكتفاء برابط المحاورة، من فنون القصص القرآنيِّ

الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾، خبريَّة مجرَّدة من العاطف؛ لأنَّها جواب القوم لنصيحة صالح النَّفيسة، وفصلت الجملة؛ لأنَّها وردت على أسلوب حكاية المحاورة في القصص، فلا تحتاج إلى رابط؛ لكون الحوار الحاضر كافيًا في ربط أبعاض الكلام ببعضه، فهذه الجملة تحكي جواب قومه وردَّهم عليه، وهو جزء من البناء القصصيِّ المتوخّى، لعرض القصص القرآنيِّ في جماليَّة وتألُّق، تؤهِّله لعرض الأحداث في روعة وشائقيَّة.

نكتةُ الإسناد في ﴿قَالُواْ﴾:

الجماعة تدلُّ على القوَّة، حتّى عند أهل الباطل والضَّلال

قوله جل شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾، أسند النَّظم الجليلُ فيه فعل القول إلى واو الجماعة في: ﴿قَالُواْ﴾؛ للدَّلالة على اجتماع قوم ثمودَ على الباطل، وتصدّيهم للحقِّ بالاستهزاء والإنكار وسوء القرار، وأنَّهم كانوا في ذلك جماعة متآلفين متوافقين على الكفر.

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط: 2/1048.

غرضُ نداء القوم صالحًا باسمه المجرَّد:

لا يـترك الكافر فرصة للجحود والـجـفـاء إلّا وأوقـــع نفسه فيها

أورد النَّظم الجليل خطابَ صالح ﷺ، بلا أوصافِ التَّقدير والتَّوقير، في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ﴾، دون صفته كنبيٍّ أو رسول، فنادَوه باسمه المجرَّد، وهو جفاء منهم[1]، مع إغفالهم صفةَ النُّبوَّة أو الرِّسالة؛ إشارة إلى الاستخفاف به وبدعوته، وبغرض التَّوبيخ والملامة، ممّا يؤكِّده قولهم: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، كما فعلت عاد مع هود من قبلُ، بأسلوب مغاير، سبق بسطه في قصَّة هود ﷺ، وممّا يدلُّ على أنَّ نداء قوم صالحٍ إيّاه، كان بغرض التَّوبيخ، قولُهم: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، فهذا تعريض بخيبة أملهم ورجائهم فيه، فهو توبيخ وتعنيف[2].

معنى حرف التَّحقيق ﴿قَدْ﴾:

إظـهـار تأكيد رضـاهـم عنه قبل بعثته، لا تنويهٌ بخصاله، بـلْ مبالغةٌ في التَّوبيخ

أدخل النَّظم الجليل في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾، حرف التَّحقيق ﴿قَدْ﴾ على فعل الكَون؛ لتأكيد الخبر، ليكون إخبارُهم بكونهم راضين عنه قبل البعثة، وأنَّهم كانوا يرونه حسن السّيرة، مرجوًّا على وجه التَّأكيد، أبلغ في إيقاع التَّوبيخ واللَّوم.

دلالة تقديم ﴿فِينَا﴾ على ﴿مَرْجُوًّا﴾:

أعـرف الـنّـاس بالرَّسول قومه، ولا يعرف فضل المرء مَنْ يجهلُه

قدَّم النَّظمُ الكريم شِبهَ الجملة ﴿فِينَا﴾، على المسند ﴿مَرْجُوًّا﴾ من قوله جلَّ شأنه: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ كونه مرجوًّا إنَّما هو بين بني قومه وحسب، ولو قالوا: (كنت مرجوًّا) بالإطلاق؛ لدلَّ على أنَّ الرَّجاء به شامل لقومه وغيرهم، وهذا يعني: شهرته خارج قومه، وهم أرادوا أن ينصّوا على أنَّ الرَّجاء فيه كائن منهم حصْرًا، إظهارًا للمنَّة عليه والرِّضا عنه؛ ليتحقَّق التَّوبيخ الذي سيكيلونه له.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/319.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/109.

سرُّ الوصف بكونه ﴿مَرۡجُوّٗا﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ بيَّن النَّظم الكريم أنَّ صالحًا كان معروفًا - قبل الرِّسالة - بالكمال الإنسانيِّ، كما كان محمَّد ﷺ معروفًا بأنَّه الصّادق الأمين.. وحيث إنَّه قد كان مرجوًّا خيرُه، غير مذموم، فما ينبغي أن يَفعل ما يُخْرِج عن دائرة هواهم، ومقتضيات مرادهم، وذلك منتهى الرَّجاء فيه؛ كي يردِّد مقالاتهم، ويعبد ما يعبدون[1]، أي: إنَّهم قالوا له بلسان المعترف المقرِّ بما له من تميُّز فيهم، كانوا يدَّخرونه لخدمة مآربهم، ما مفاده: "كانت تلوح فيك مخايلُ الخير، وأماراتُ الرُّشد، فكنّا نرجوك لننتفعَ بِك، وتكون مشاورًا في الأمور، ومسترشَدًا في التَّدابير، فلمّا نطقت بهذا القول؛ انقطع رجاؤنا عنك، وعلمنا أن لا خيرَ فيك"[2].

حُسْنُ سيرة المرء، ورضيُّ سمعته، مظنَّة الانتفاع من خيره ومشورته

فائدةُ التَّعبير بقوله: ﴿قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾، عبَّر النَّظم بالظَّرف الزَّماني (قبل)، وأضافه إلى اسم الإشارة الدّالِّ على الدَّعوة، أي: "﴿قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ الَّذي باشرتَه من الدَّعوة إلى التَّوحيد، وترْكِ عبادة الآلِهَةِ، أو قبل هذا الوقتِ، فكأنَّهم لم يكونوا إلى الآن على يأس من ذلك، ولو بعد الدعوةِ إلى الحقِّ، فالآن قد انصرَم عنك رجاؤُنا"[3]. ففصلوا بين زمانين؛ أحدهما: ما قبل الجهر بالدَّعوة عندما كان مرجوًّا فيهم، والآخر بعدها عندما ناصبوه العداء، وخاطبوه بهذا الأسلوب الفجِّ، ولم يقولوا: (من قبل هذا)، فحذفوا حرف الجرِّ لاستغراق الزَّمان، أي: كنت مرجوًّا طولَ الزَّمان قبل أن تدعونا إلى ما دعوتنا إليه، فأمّا بعد هذا؛ فانسلخت من هذا العِداد[4].

صلاح السّيرة، ليس شفيعًا معتبرًا عند المعاندين

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3724.
(2) الزّمخشري، الكشاف: 2/407.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/221.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 9/319.

دلالة الموقع البياني لجملة التَّساؤل:

عـلَّـة تـوبـيـخ الرَّسول دعوته قـومـه إلى التَّوحيد ونبذ الضَّلالة

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، الجملة في بيان لقولهم: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾، باعتبار دلالتها على التَّعنيف والتَّوبيخ[1]، فإنَّ تذكيره بكونه كان حسن السّيرة فيهم، وأنَّهم كانوا يرجون منه الخير في سياق العتاب والتَّوبيخ، يظهر أنَّهم قد غيَّروا مكانته عندهم، فلم يبقَ مرجوًّا، والسَّبب أنَّه دعاهم لترك عبادة الأصنام الَّتي ورثوها من آبائهم، فجاءت الجملة ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، لبيان علَّة توبيخهم، وإيضاح السَّبب الدّافع له.

غرضُ الاستفهام في قوله: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾:

ضـلال الـقـوم في مـشـاكـسـة النّاصح لهم بما ينفعهم

عبَّر النَّظم الكريم بالاستفهام في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ للدَّلالة على الإنكار والتَّوبيخ، فدلَّت الجملة على استنكار القوم هذا النَّهي منه[2]، ودعوته لهم لعبادة غير آلهتهم، بحجَّة أنَّها إرث عن الآباء، فهم يستنكرون دعوته، ويثيرون العجب بالاستفهام لإنكار الواقع، وهو أنَّه ينهاهم أن يعبدوا ما يعبد آباؤهم[3]، وهذا داخل في مفهوم انقلاب الموازين، ذلك أنَّ من يدعو إلى الإصلاح، وينصح القوم بالتَّغيير الإيجابيِّ، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، ونبذ العادات السَّلبيَّة الموروثة عن الآباء والأجداد، دون فهم واعٍ، ولا نفعٍ يستفاد، من شأنه أن تزداد قيمته، وترتفع مكانته، لا أن يوبَّخ ويلام.

وجهُ التَّعبير بلفظ ﴿مَا﴾ الموصولة:

إصـرار المشركين عـلـى عـبـادة آلهتهم الموروثة مـع عـلـمـهـم بـبـطـلانـهـا وعجزها

في قوله جلَّ شأنه: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، استعمل اسم الموصول ﴿مَا﴾ الدّالَّ على غير العاقل؛ ليشير إلى ما عبد آباؤهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/110.
(2) القنّوجيّ، فتح البيان: 6/205.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3724.

من الأصنام، فهو تأكيد لكون الأصنام معبودة آبائهم، وأنَّهم بحيث يقرُّون بذلك، ويتمسَّكون به، فعبَّروا عن أصنامهم بالموصول ﴿مَا﴾، "لما في الصِّلة من الدَّلالة على استحقاق تلك الأصنام أن يعبدوها في زعمهم، اقتداء بآبائهم؛ لأنَّهم أُسوة لهم، وذلك ممّا يزيد الإنكار اتِّجاهًا في اعتقادهم"[1]، فهُم يحكون تمسُّكهم بموروثاتهم في العبادة مهما كانت صفتها أو قيمتها، ويشير إلى عمى التقليد والاعتداد بما كان عليه الأسلاف، حتى لوكان أيَّ شيء، سواء كان صنمًا أم حجرًا أم غير ذلك.

براعةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَعْبُدُ﴾:

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، عبَّر فيه النَّظم الجليلُ عن عبادتهم بالفعل المضارع، مع أنَّ عبادتهم منقطعة ماضية، فعدل إلى الفعل المضارع حكايةً للحال الماضية[2]، ممّا كان عليه الاعتقاد الوثنيُّ الباطل، في الحاضرة والبادية، ولم يقولوا: (ما عبدَ آباؤنا)، بل عبَّروا "بصيغة المضارع تصويرًا للحال، كأنَّ آباءهم موجودون فلا يمكنهم مخالفتهم؛ إجلالًا لهم، فأجلّوا من يرونه سببًا قريبًا في وجودهم، ولم يهابوا من أوجدهم وآباءهم أوَّلًا من الأرض"[3].

تصويرُ الحال واستحضار صورة مكانة آبائهم؛ مما يزيد تمسكهم بما يعبدون

دلالة الإسناد في: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾:

قوله جلَّ شأنه: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، حكاية عن قوم صالح عليه السلام؛ إذ أوقعوا فيه التَّوبيخ عليه، بإسناد النَّهي إليه، فوجَّهوا النَّهي إليه، والنّاهي هو الله تعالى، فقولهم: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ﴾، خروجٌ بالسُّؤال عن وجهته، ذلك أنَّ استنكار النَّهي موجَّهٌ إلى صالح عليه السلام، والرَّسول مبلِّغ عن الله تعالى، فالذي نهى على الحقيقة هو الله

نسبة ما يكون من الله إلى العباد سوء أدب مع ربِّ العباد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/110.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/221.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/320.

ﷺ لذلك كان قولُهم سوءَ أدب مع اللّه، قبل أن يكون سوء أدب مع نبيِّه صالحٍ عليه السلام.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ﴾:

الانتقالُ من رجائهم مواطأة صالحٍ لهم إلى الطَّعن في رسالته

عطف الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، على الجملة في قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾؛ لكونهما من مقولهم الَّذي قالوه، "فبعد أن ذكروا يأسهم من صلاحِ حالِه، ذكروا أنَّهم يشكّون في صدق أنَّه مرسل إليهم، وزادوا ذلك تأكيدًا بحرف التَّأكيد[1].

دلالة تأكيد الخبر في شكِّهم في دعوته:

تأكيد الشَّك في صدق الرِّسالة تأييسٌ للرَّسول من إيمانهم

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، جاء الخبر في غاية التَّأكيد، حيث ورد ﴿وَإِنَّنَا﴾ على الأصل بتشديد نون (إنَّ)، وضمير (نا) المسند إلى جماعتهم من الرؤساء والرِّعاع، وهو تأكيد متعنَّتٌ منهم، لبيان ريبهم اللَّئيم، وشكِّهم الأثيم في صدق دعوته، لذلك كان التَّشديد وتوالي النّونات مناسبًا لذلك، وأُلحِقَ ذلك باللّام المزحلَقة الدّالة على التَّوكيد، فقالوا مقولتهم على وجه التَّأكيد[2]، بل زادوا التَّأكيد بأن جعلوا أنفسهم محاطين بالشَّكِّ، وغرضهم من ذلك تأكيد تأييس صالح عليه السلام من انتظار استجابتهم له.

نكتةُ الظَّرفية المجازيَّة في: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾:

تحوُّل الشَّك إلى ظرف وبيئةٍ محيطة بهم، يؤكِّد قوَّة شكِّهم

أدخل حرفَ الجرِّ (في) الدّالَّ على الظَّرفيَّة المجازيَّة، في قوله جل شأنه: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾؛ لأنَّ الشَّك لا يكون ظرفًا، وإنَّما عبَّروا بذلك لتأكيد شكِّهم، فهو قد أحاط بهم إحاطة الظَّرف بمظروفه[3]، وقد رتَّبوا شكَّهم في دعوته، على نبذه آلهتهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/110.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/320.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/320.

المزعومة وطعنه في عبادتهم الموهومة، و"قالوا: يا صالح، لقد كنّا نرجو الخير فيك قبل هذه الدَّعوة، كنّا نرى فيك حكمةً وأصالة رأي، فما بالك الآن؟ أتنهانا عن عبادة ما كان يعبُد آباؤنا؟ نحن في شكٍّ من دعوتك هذه إلى عبادة الله وحده، شكٍّ يجعلُنا نرتابُ فيك، وفيما تقول"[1].

بلاغةُ التَّعبير بالشَّكِّ في ﴿لَفِي شَكٍّ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، عبَّر النَّظم الكريم عن تردُّدهم في أمره، فالشَّكُّ هو التَّوقُّف بين النَّفي والإثبات حين لم يترجَّح في اعتقادهم صحَّة قوله، "فهم يشكّون فيما يدعو إليه من التَّوحيد، وهجر عبادة الأوثان؛ لأنَّها أحجار لا تضرُّ ولا تنفع، وإنَّ هذا الشَّكَّ يوقعهم في الرّيب، أي: إنَّ شكَّهم في صدق ما يدعوهم إليه، يوقعهم في حال الرَّيب، فلا يؤمنون بقوله، ويكونون في حال من الاضطراب"[2]. وثمَّت ملمحٌ بلاغي دقيقٌ في قولهم ذلك، فهم لم يعبِّروا عن القطع بكونهم كافرين به، بل أظهروا أنَّهم يشكُّون فيما جاءهم به، وهذا لإظهار أنَّهم قد تفكَّروا في شأنه ودعوته، ولكن لم يظهر لهم صدقه، وبهذا يكون عدم تصديقهم له ليس كفرًا لدعوة ظاهرة الصِّدق، بل هو رفض لدعوة ناقصة الأدلَّة لا يقوم على البرهنة عليها دليل يُعتدُّ به، فالغرضُ الأساس من ذكر الشَّكِّ إظهار أنفسهم بمظهر النّاقد الَّذي لم يؤمن عن دراية، لا عن محض الرَّفض.

إظهارُ أنفسهم بمظهر النّاقد الَّذي لم يؤمن عن دراية، لا عن محض الرَّفض

دلالة الموصول (ما) وصلته ﴿تَدْعُونَآ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، عُبِّر عن المدعوِّ إليه بالاسم الموصول (ما)؛ للدَّلالة على عموم ما دعاهم إليه، "من

شكُّهم الأثيم في كلِّ ما جاءَهم به رسولهم الكريم فسادٌ في فطرتهم

(1) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير: 2/226.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 7/3724.

التَّوحيد، وتركِ عبادةِ الأوثانِ وغيرِ ذلك من الاستغفار والتَّوبة"[1]، وهذا يفصح عن خراب طويَّتهم، وفساد فطرتهم؛ إذ لم يستحسنوا شيئًا ممّا دعاهم إليه، بل جعلوا كلَّ شيء دعاهم إليه مشكوكًا فيه، وهم في ريبهم يتردَّدون.

غرضُ وصف الشَّكِّ بأنَّه ﴿مُرِيبٍ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، وصف (الشَّكِّ) بأنَّه ﴿مُرِيبٍ﴾، يدلُّ على معنيين: أحدهما متعدٍّ من (أرابه)، أي: أوقعه في الرّيبة، أي: قلقِ النَّفسِ وانتفاءِ الطُّمأنينة، والثّاني: لازمٌ من (أرابَ الرّجلُ)، أي: صار ذا ريبة[2]، ولكلٍّ وجهة في المعنى هو مولّيها، فقولهم: ﴿مُرِيبٍ﴾، يعني: أنَّه ترجَّح في اعتقادهم بطلان قوله وفساده، وذلك مبالغة في تزييف كلامه، وتسفيه دعوته، فلم يكن شكُّهم كأيِّ شكٍّ، بل هو شكٌّ مؤكَّد، كقولهم: جدَّ جدُّه[3].

الشَّكُّ المريب يفصح عن ارتيابٍ وقلقٍ يترجَّح معه الإنكار

نكتةُ التَّنكير في لفظي ﴿شَكٍّ﴾ و ﴿مُرِيبٍ﴾:

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بصيغة التَّنكير، في لفظي ﴿شَكٍّ﴾ و ﴿مُرِيبٍ﴾ من قوله جلَّ شأنه: ﴿لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾؛ تفخيمًا لشأن الشَّك والرِّيبة[4]، فإنَّ التَّنكير يدلُّ على عدم التَّعيين، فهو مريب ريبة غير معروفة، وهذا يدلُّ على الغموض والجهالة، وذلك أدعى للمبالغة في شدَّة هذا الوصف.

عدم تعيين الشَّكِّ والارتياب فيه مبالغةٌ في بيان شدَّة الوصف

التَّشابه اللَّفظيُّ بين آيتي هود (62) وإبراهيم (9):

وردَ التَّشابهُ اللَّفظيُّ بين قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، وقولِه تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ

ورود الخطاب بقوله: (تدعونا إليه) للمفرد، وبقوله: (تدعوننا إليه) للجمع

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/221.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/111.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/221.

أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۝٩﴾ [إبراهيم: 9]، فاختلف التَّعبير بين الآيتين ففي سورة هود: ﴿وَإِنَّنَا﴾... ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَآ﴾، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِنَّا﴾.. ﴿مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ﴾؛ وذلك أنَّ التَّعبير بالفعل في كلتا الآيتين جاء على الأصل، فالخطاب في سورة هود للمفرد؛ لأنَّه خطاب لهود عليه السلام فقالوا: ﴿تَدۡعُونَآ﴾، أمّا الخطاب في سورة إبراهيم؛ فهو لجماعة الرُّسل عليهم السلام، فقالوا: ﴿تَدۡعُونَنَآ﴾، أمّا التَّعبير بـ ﴿وَإِنَّا﴾ و ﴿وَإِنَّنَا﴾؛ فإنَّ الأصل فيه هو ﴿وَإِنَّنَا﴾، وقد جاء تعبيرهم على الأصل في سورة هود؛ دلالة على قوَّة تأكيد إنكارهم، فأبقَوا النّونات الثّلاثَ تثقيلًا للتأكيد؛ أمّا في سورة إبراهيم؛ فجاء محذوفَ النّون ﴿وَإِنَّا﴾؛ لأنَّه قد وقع بعده: ﴿تَدۡعُونَنَآ﴾ بنونين؛ لِأنَّهُ خطاب جمع للرُّسل، فحذف في السياق منْ (إنّنا) النّون استثقالًا للجمع بَين النّونات في الموضعين من السورة نفسها في صدر الجملة ونهايتها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(الرّيبة) و(الشّكّ):

الرَّيب: شكٌّ مع تهمة[2]. وأصل الرَّيب القلق واضطراب النَّفس، ولمّا كان الشَّكُّ يلزمه اضطراب النَّفس وقلقها؛ غلب عليه الرَّيب، فصار حقيقة عرفيَّة، يقال: رابَه الشَّيء؛ إذا شكَّكَه، أي: أوجب الشَّكَّ في حاله[3]. وفي الآية الكريمة ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾، عبَّر قوم صالحٍ عن قلقهم واضطرابهم بشأنه، بأن جمعوا بين الشَّك والوصف، بكونه شكًّا مريبًا، ولو اقتصروا على الشَّكِّ؛ لكان المدلول الشَّكَّ وحسبُ، ولكنّهم قرنوه بكونه شكًّا مريبًا، مبالغةً

الـرَّيـب قلق النَّفس، وانتفاء الطُّمأنينة، وهو أخصُّ من الشَّكِّ

(1) الكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 146.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 99.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/222.

منهم في إظهار كونهم شاكّين فيه، فـ"الرَّيب: حالة فكريَّة تميل نحو الاتِّهام وظنِّ السّوء، والشَّكُّ: حالة من الحيرة والاضطراب، يجعل اليقين يتذبذب، ويتأرجح بين الأمرين، من غير مرجِّح لأحدهما، والشَّكُّ: حالة فطريَّة، تنشأ عند غياب الأمارة المرجِّحة، وعند الجهل بالحقيقة، والرَّيب: حالة مرضيَّة تؤدِّي إلى توهُّم الحقيقة، وترجُّح التُّهمة بغير دليل، وفي إطار هذه الدِّلالات جاء كلٌّ من اللَّفظين يعبِّر عن معناه الَّذي يؤكِّد أنَّ هذا اللَّفظ في موضعه، له معنى، لا يؤدّيه مرادفُه"[1].

(1) سامي عبد الفتاح هلال، التّرادف في القرآن الكريم بين المثبتين والنّافين، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الأزهر، ص: 54.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»